جامعة صلاح الدين
كلية التربيـــــــة
قسم اللغة العربية

محاضرات في علم المعاني

المرحلة الثالثة

م. م. طارق طاهر عبد الله

السنة الدراسية

٢٠٢٣-٢٠٢٤م

المبحث الأول

مفهوم علم المعاني، وموضوعه، وفائدته، ونشأته، ومباحثه

المطلب الأول: تعريف علم المعاني، وموضوعه، وفائدته

أولاً: تعريف علم المعاني

"هو علمٌ يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[1].

فذكاء المخاطب: حال تَقتضي إيجاز القول، فاذا أوجزتَ في خطابه كان كلامك مطابقاً لمقتضى الحال، وغباوته حال تقتضي الإطناب والإطالة، فاذا جاء كلامك في مخاطبته مطنباً: فهو مطابق لمُقتضى الحال، ويكون كلامك في الحالين بليغان ولو أنك عكست لانتفت من كلامك صفة البلاغة.

واعلم أنَّ لكل جملة رُكنيين:

١. مسنداً – ويسمى محكوماً به – أو مُخبراً به.

٢. ومُسنداً إليه، ويسمى محكوماً عليه – أو مُخبرا عنه وأمّا النسبة التي بينهما فتُدعى «إسناداً».

والإسناد: انضمام كلمةِ «المُسند» إلى أخرى «المسند إليه» على وجهٍ يُفيد الحكم بإحداهما على الأخرى: ثُبوتاً أو نفياً نحو: الله واحدٌ لا شريك له.

ثانياً: موضوعه

موضوع علم المعاني هو اللَّفظُ العربي، من حيثُ إفادتُه المعاني الثَّواني، التي هي الأغراض المقصودةُ للمتكلّم، من جعل الكلام مشتملاً على تلك اللَّطائف والخصوصيّات، التي بها يُطابقُ مقتضى الحال.

ثالثاً: فائدته

فائدة علم المعاني تتضمن ما يأتي:

١. معرفة إعجاز القرآن الكريم، وأسباب التقديم والتأخير والحذف والذكر والإيجاز والإطناب، وغير ذلك.

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة: للخطيب القزويني: ٥٢/١.

٢. الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة.

٣. تجنب الأخطاء في تأدية المعاني.

٤. معرفة أسرار كلام النبيِّ (صلى الله عليه وسلم).

٥. معرفة أسرار البلاغة في الأشعار العربية.

المطلب الثاني نشأة علم المعاني وتطوره

أولاً: نشأة علم المعاني وتطوره

علم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: (المعاني والبيان والبديع). وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز، وكتب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك، ففيها تتجاور مسائل علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينها.

وشيئاً فشيئاً أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون بها منحى التخصص والاستقلال، كما أخذت مسائل كل فن بلاغيّ تتبلور وتتلاحق واحدة بعد الأخرى، وظلَّ الأمر كذلك حتى جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري (٤٧١هـ) ووضع نظرية علم المعاني في كتابه «دلائل الإعجاز» ونظرية علم البيان في كتابه «أسرار البلاغة»، كما وضع ابن المعتز من قبله أساس علم البديع.

وقد أخذ المتأخرون لفظة (المعاني) من قول الإمام عبد القاهر: "وأمرُ النظم في أنه ليس شيئاً غيرَ توخّي معاني النحو فيما بين الكلم وأنك ترتبُ المعاني أولاً في نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظَ في نطقك"[١].

ولكن ليس في كتب البلاغة إشارة إلى متى استخدم هذا المصطلح إلاّ أنَّ بعض الباحثين ذهبوا إلى أنَّ السكاكي (ت٦٢٦هـ) في كتابه (مفتاح العلوم) هو أول من أشار إلى علم المعاني مصطلحاً بلاغياً عندما قسم البلاغة إلى علومها الثلاثة: (معان وبيان ومحسنات لفظية ومعنوية)، وقد جعل السكاكي علم المعاني العلم الأول من علم البلاغة العربية وعرَّفه بقوله: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[٢].

وهذا العلم يستمدُّ مباحثه من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأشعار العرب قديماً وحديثاً.

---

[١] دلائل الإعجاز، ص: ٣٢٩-٣٣٠.

[٢] مفتاح العلوم، ص: ١٦١.

ثانياً: مباحث علم المعاني

لقد حصر البلاغيون علم المعاني في ثمانية أبواب:

١ – أحوال الإسناد الخبري.

٢ – أحوال المسند إليه.

٣ – أحوال المسند.

٤ – أحوال متعلقات الفعل.

٥ – القصر.

٦ – الإنشاء.

٧ – الفصل والوصل.

٨ – الإيجاز والإطناب والمساواة.

المبحث الثاني

موضوعات المسند والمسند إليه والعلاقة بين علم المعاني وعلم النحو

المطلب الأول: موضوعات المسند والمسند إليه

أولاً: موضوعات المسند

موضوعات المسند تسعة:

(١) خبر المبتدأ – نحو «قادرٌ» من قولك: الله قادرٌ.

(٢) الفعل التام – نحو «حضر» من قولك – حَضرَ الأميرُ، أو الفعل للمعلوم: مثل: قرأَ الطالبُ الدرسَ.

(٣) الفعل للمجهول، مثل: شُرِبَ الماءُ.

(٤) واسم الفعل – نحو «هيهات هيهات لما توعدون»، و «غير المغضوبِ عليهم ولا الضّالين آمين».

(٥) والمبتدأ الوصفُ المُستغنى عن الخبر بمرفوعه – نحو «عارف» من قولك – أعارفٌ أخوك قدرَ الإنصاف؟

(٦) وأخبار النَّواسخ «كان ونَظَائرُها – وإنَّ ونظائرُها» مثل: كانَ اللهُ غفوراً رحيماً، وإنَّ الطالبَ ناجحٌ.

(٧) والمفعول الثاني – لظنَّ وأخواتها، مثل: ظننتُ محمداً عالماً.

(٨) والمفعول الثالث – لأرَى وأخواتها، مثل: أريتُ خالداً الأمرَ واضحاً.

(٩) والمصدر النّائب عن فعل الأمر – نحو «سعياً في الخير».

ثانياً: موضوعات المسند إليه

موضوعات المسند إليه ستة:

(١) الفاعلُ «للفعل التّام أو شبهه» نحو «فؤاد – وأبوه» من قولك: حَضرَ فؤادٌ، العالم أبوه.

(٢) وأسماء النَّواسخ: كان وأخواتها، وإنَّ وَأخواتها – نحو «المطرُ» من قولك – كان المطرُ غزيراً، ونحو: إنَّ المطرَ غزيرٌ.

(٣) والمبتدأ الذي له خبر – نحو «العلم» من قولك: العلمُ نافعٌ.

(٤) والمفعول الأول – لظنَّ وأخواتها، مثل: ظننتُ زيداً عالماً.

(٥) والمفعول الثاني – لأرَى واخواتها، مثل: أريتُ محمداً ذهباً ثميناً.

(٦) ونائب الفاعل – كقوله تعالى: (ووضعَ الكتابُ)، ومثل: سُرقَ المالُ.

المطلب الثاني: العلاقة بين علم المعاني وعلم النحو

علم النحو يدرس موضوعات متعددة من الفاعل والمفعول به والحال والتمييز والمبتدأ والخبر، وجواز التقديم والتأخير وامتناعه ووجوبه وجواز الحذف وامتناعه، وأنواع التعريف وأحكام التنكير، وغير ذلك، ولكن يدرس من الناحية النحوية، ولا يتناول هذه الموضوعات من حيث وقوعها مطلباً بلاغياً يقتضيه المقام، وتدعو إليه الحال، ولكن علم المعاني يدرس هذه الموضوعات من الناحية البلاغية.

وهذا هو الفرق بين البلاغة والنحو: موضوعات البلاغة تبحث في علم النحو، ولكن النحو يبحثها من حيث الصحة وعدمها، والبلاغي يبحثها من حيث مطابقتها لأحوال السامعين.

الباب الأول

حقيقة الخبر وأغراضه وتقسيماته

المبحث الأول: حقيقة الخبر

المطلب الأول: تعريف الخبر والأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر

أولاً: تعريف الخبر

الخبرُ: كلامٌ يحتملُ الصدق والكذب لذاته.

والمراد: بصدق الخبر مُطابقته للواقع ونفس الأمر، والمراد بكذبه عدم مطابقته له، فجملة: (العلم نافع) أو (سافر محمدٌ) إن كانت نسبتُه الكلاميَّة موافقة لما في الخارج والواقع فصدقٌ، وإلاّ فكذب نحو «الجهل نافع»، فنسبته الكلامية ليست مطابقة للنسبة الخارجية.

ومثل: حَضرَ المسافرُ.

المسند إليه هو: (المسافرُ)؛ لأنه أسند الحضور له، وهو المحكوم عليه.

والمسند هو: (حَضرَ)، وهو المحكوم به.

فهذا خبر، يحتمل الصدق والكذب، فإذا خرجنا من البيت وتأكدنا من حضور المسافر، فالخبر صادق، وإن لم نرَ الزائر فالخبر كاذب.

ملحوظة:

أخبار الله عزَّ وجلَّ ورسوله لا يمكن أن توصف بأنها كاذبة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾{النساء: ٨٧}، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾{النساء: ١٢٢}، وأخبار مسيلمة الكذاب وأمثاله لا يمكن أن توصف بالصدق، لكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة مثلاً، بل بالنظر إلى المتكلم، فامتناع الصدق في كلام مسيلمة الكذاب وأمثاله فيما يدعيه من النبوة لا لأنَّ الكلام لا يصحُّ أن يوصف بالصدق؛ لأنه لو قاله: الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لوصف بالصدق قطعاً، لكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة، بل بالنظر إلى المتكلم أيضاً؛ لأنَّ خبر الله ورسوله لا يمكن أن يوصف بالكذب.

ثانياً: المقاصد والأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

الأول: إفادة المخاطب مضمون الخبر وفائدته: وذلك كقولك لمن لا يعلم أنَّ والداك قد سافر: (سافر والدك) ولمن لا يعلم أنَّ الهلال قد ظهر: (ظهر الهلال)، ولمن لا يعلم أنَّ أخاه قد نجح: (نجح أخوك).

الثاني: إفادة المخاطب لازم فائدة الخبر: كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان وعلمته من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان، ويسمى هذا النوع «لازمَ الفائدة»؛ لأن يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علمٌ أو ظَن به.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام، أهمها:

١ – إظهار الضعف، كما قال تعالى على لسان زكريا (عليه السلام): ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾{مريم: ٤}. فليس قصد زكريا إفادة الحكم أو لازمه، فالله تعالى عالم بهما، وعلمه محيط بكل صغيرة وكبيرة في الكون بأسره، وإنَّما الغرض من الخبر هنا إظهار الضعف بين يدي الله سبحانه وتعالى.

وكما في قول المسجاح بن سباع الضبي:

لقد طوفتُ بالآفاق حتّى ... بليتُ وقد أنى لي لو أبيدُ

وأفناني – ولا يفنى– نهارٌ ... وليلٌ كلما يمضي يَعودُ

وشهرٌ مستهلٌ بعد شهرٍ ... وحولٌ بعده حولٌ جديدٌ

ومفقودُ عزيز الفقدِ تأتي ... منيته، ومأمولُ وليد

فقد أخبر الشاعر بأنه طوف في الآفاق حتى بلى وقارب الهلاك، وأهرمه مرور الليل والنهار، وتوالى الأشهر والسنين، وفقد من يعزّ عليه من الأصحاب والأبناء، ولم يقصد بخبره هذا فائدة الخبر أو لازمها، وإنما أراد أن يبث السامع مشاعره ليشاركه إحساسه، فتتحقق له بتلك المشاركة راحة نفسية يتطلبها.

وكقول آخر:

إلهِي عَبْدُكَ العاصِـي أَتَاكَ ... مُقِرًّا بِالذُّنُوبِ وقد دَعــاكَ

فَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ لِذاكَ أَهْلٌ ... وَإِنْ تَطْرُدْ فَمَنْ نَرْجُو سِواكَ

فالشاعر في البيت الأخير في موقف ضراعة وخضوع؛ ولذلك فهو يعترف بذنبه وتقصيره، لعلَّ الله يغفر له ذنوبه.

٢ – إظهار التحسر، كما في قوله تعالى على لسان امرأة عمران: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ... ﴾{آل عمران: ٣٦}، وليس الغرض من هذا الكلام الإخبار؛ لأنه إما للفائدة أو لازمها، وعلم الله تعالى محيطٌ بهما، بل الغرض إظهار التحسر على خيبة رجائها، وعكس تقديرها، والتحزن إلى ربها؛ لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرًا يحقق رغبتها في خدمة بيت المقدس؛ حيث كانت خدمته خاصة بالذكور دون الإناث؛ ولذلك تحسرت على فوات هذا الغرض.

وكقول الشاعر:

ذَهَبَ الصِّبا وتَوَلَّتِ الأَيَّامُ ... فعلى الصِّبا وعلى الزَّمانِ سَلامُ

فالشاعر هنا يتحسر على أيام صباه وزهرة عمره التي ولت وأدبرت، وأسلمته إلى الشيخوخة، وهي تؤذن بدنو أجله وانقضاء حياته، فنغمة الحزن واضحة هنا في كلام الشاعر.

وكقول أعرابي في رثاء ولده:

لَمَّا دَعَوتُ الصَّبْرَ بَعْدَك والأَسَى ... أَجَابَ الأَسى طَوْعاً ولمْ يُجِبِ الصَّبْرُ

فإِنْ يَنْقَطِعْ مِنَكَ الرَّجَا فإِنَّهُ ... سَيَبْقَى عليك الحُزْنُ ما بَقِيَ الدَّهْرُ

فالأعرابيّ لا يريد الإخبار، إنّما أراد إظهار الحسرة والحزن على فقد ولده.

٣ – والمدح، كما في قول النابغة الذبياني:

فإنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وكما في قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

على قدر أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وتعظمُ في عين الصغير صغارها ... وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

يكلفُ سيف الدولة الجيش همه ... وقد عجزتْ عنهُ الجيوش الخضارمُ[١]

ويطلبُ عند الناسِ ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدَّعيهِ الضَّراغمُ[٢]

فالمدح هنا قرينة دالة على أن إتيان العزائم على قدر أهل العزم، وإتيان المكارم على قدر الكرام، وعظم صغار المكارم في عين الصغير، وصغر العظائم في عين العظيم، إنما هو أمر مستمر متجدد على الدوام.

٤ – والتوبيخ كقولك للعاثر – وهو الذي عثر فزلَّ قدمه فسقط على الأرض –: (الشمس طالعةٌ)، فلا يكون المقصود هنا إفادة الخبر؛ لأنَّ كون الشمس طالعة مما يعلمه كل أحد، بل الغرض ها هنا التوبيخ على عثرته وزلته.

وكقول معروف الرصافي:

وشرُّ العالمين ذوو خُمولٍ ... إذا فاخَرْتَهُمْ ذكروا الجدودا

وكما تقول للطالب المهمل الذي رسب في الامتحان: (أنت رسبت في الامتحان).

وقولك: للعاجز: (ما أنت بالذي يُعَوّلُ عليه).

٥ – الفخر كقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (إنَّ الله اصطفاني من قريش ...).

وقول المتنبي:

أنا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي ... وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ

وقول الشاعر:

أنا القائدُ الحامي الذِّمارَ وإنَّما ... يُدافِعُ عن أَحْسابهم أَنا أَو مِثْلي

---

[١] أصل الخضرم في الماء. يقالُ: ماءٌ خضرم؛ أي كثير، ورجلٌ خضرم؛ أي كثير العطاء، وإذا وصف الجيش بذلك فإنما يراد به الكثرة. اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، ص: ١١٧٣.

[٢] يعني: سيف الدولة يريد أن يكون الناس غيره مثله في الشجاعة، وذلك ما لا تدعيه الأسد؛ أي لا تدعي أنها مثله في الشجاعة. المصدر نفسه، ص: ١١٧٤.

٦- الإرشاد والوعظ والتذكرة: كقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾{الرحمن: ٢٦-٢٧}، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾{العنكبوت: ٥٧}.

وقول لبيد بن ربيعة:

ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ ... وكلُّ نعيمٍ لا مَحالة زائِلُ

٧- التَّذكير بما بين المراتب من التَّفاوت والحث على شيء واستنهاض الهمم له، نحو: (لا يستوي كسلانٌ ونشيطٌ).

وكقول الشاعر:

سَلي إنْ جهلتِ النَّاسَ عنَّا وعنكمُ ... وليسَ سواءٌ عالمٌ وجهُولُ

وغير ذلك من الأغراض.

المطلب الثاني: مؤكِّدات الخبر

الأدوات التي يؤكد بها الخبر كثيرة منها: (إنَّ، وأنَّ، ولام الابتداء، وأمّا الشرطية، والسين، وقد، وضمير الفصل، والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة، وأحرف التنبيه، والتكرير). وفيما يلي تفصيل وتوضيح لهذه الأدوات:

١ - «إنَّ» المكسورة، وهذه هي التي تنصب الاسم وترفع الخبر، ووظيفتها أو فائدتها التأكيد لمضمون الجملة أو الخبر، فإن قول القائل: «إنَّ الطالبَ ناجحٌ» ناب مناب تكرير الجملة مرتين، إلّا أنَّ قولك: «إنَّ الطالبَ ناجحٌ» أوجز من قولك: «الطالبُ ناجحٌ، الطالبُ ناجحٌ» مع حصول الغرض من التأكيد. فإن أدخلت اللام وقلت: «إنَّ الطالبَ لناجحٌ» ازداد معنى التأكيد، وكأنه بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات، وهذا الإيجاز أو الاقتصاد في ألفاظ الجملة مع حصول الغرض من التوكيد هو الذي يعطي مثل هذه الجملة قيمتها البلاغية، على أساس أنَّ البلاغة هي الإيجاز.

٢ - «لام الابتداء»: وفائدتها توكيد مضمون الحكم، وتدخل على المبتدأ، نحو: لأنتَ خير من عرفت، كما تدخل على خبر «إنَّ» مثل: إنَّ المدرسَ لَمخلصٌ في عمله، وعلى شبه الجملة مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾{القلم: ٤}.

٣ – «أمّا الشرطية»: وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، نحو قول الشاعر:

ولمْ أرَ كالمعروف أما مذاقه ... فحلو وأمّا وَجههُ فَجميلٌ

وفائدة «أما» في الكلام أنها تعطيه فضل توكيد وتقوية للحكم، تقول مثلاً «محمدٌ ذاهبٌ» فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب وعازم عليه قلت: «أما محمدٌ فذاهب».

٤ – «السين»: وهي حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال، والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة، ووجه ذلك أنها تفيد الوعد أو الوعيد بحصول الفعل، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه.

فهي في مثل قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ... ﴾{التوبة: ٧١}، مفيدة وجود الرحمة لا محالة، ولذلك فهي تؤكد هنا حصول فعل الوعد. كذلك هي في مثل قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ ﴾{المسد: ١–٣}، تؤكد حصول فعل الوعيد الذي دخلت عليه وتثبّت معناه بأنه كائن لا محالة وإن تأخَّر إلى حين.

٥ – «قد»: التي للتحقيق، نحو قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾{المؤمنون: ١–٢}، فهي في مثل هذه الجملة تفيد توكيد مضمونها؛ أي أنَّ فلاح المؤمنين الخاشعين في صلاتهم حق ولا محالة حاصل.

٦ – «ضمير الفصل»: وهو عادة ضمير رفع منفصل، ويؤتى به للفصل بين الخبر والصفة، نحو «محمد هو النبي» فلو لم نأت بالضمير «هو» وقلنا «محمد النبي» لاحتمل أن يكون «النبي» خبراً عن محمد، وأن يكون صفة له، فلما أتينا بضمير الفصل «هو» تعين أن يكون «النبي» خبراً عن المبتدأ وليس صفة له. فضمير الفصل على هذا الأساس يزيل الاحتمال والإبهام من الجملة التي يدخل عليها، وبالتالي يفيد ضرباً من التأكيد. ولهذا عدّ من أدوات توكيد الخبر.

٧ – «القسم»: وأحرفه «الباء، والواو، والتاء»، و «الباء» هي الأصل في أحرف القسم لدخولها على كل مقسم به، سواء أكان اسما ظاهراً أو ضميراً، نحو: أقسم بالله، وأقسم بكَ.

و «الواو» تختص بالدخول على الاسم الظاهر دون الضمير، نحو: «أقسم والله»، أما «التاء» فتختص بالدخول على اسم الله تعالى فقط، كقوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم (عليه السلام): ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾{الأنبياء: ٥٧}.

فالقسم ضرب من التأكيد؛ لأنَّ فيه إشعاراً من جانب المقسم بأن ما يقسم عليه هو أمر مؤكد عنده لا شكَّ فيه، وإلاّ لما أقسم عليه قاصداً متعمداً، ومن أجل ذلك عدّ البلاغيون القسم من مؤكِّدات الخبر.

٨ – «نونا التوكيد»: وهما نون التوكيد الثقيلة، أي المشددة، ونون التوكيد الخفيفة، أي غير المشددة، وهما يدخلان على المضارع بشروط وعلى الأمر جوازاً، وقد اجتمعا في قوله على حكاية على لسان امرأة عزيز مصر في قصة يوسف: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾{يوسف: ٣٢}.

٩ – «الحروف الزائدة»: وهي سبعة: (الباء، مِنْ، ما، لا، الكاف، إنْ، أنْ).

«الباء» ومن استعمالاتها أن تزاد لتوكيد ما بعدها، وقد تزاد كثيراً في الخبر بعد «ليس وما» النافيتين، وعندئذ تكون زيادتها لتوكيد نفي ما بعدها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾{البقرة: ٧٤}، وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾{الزمر: ٣٧}.

وقول معن ابن أوس:

ولستُ بماش ما حييت لمنكر ... من الأمر لا يمشي لمثله مثلي

فزيادة الباء هنا إنما هو لتأكيد معنى النفي؛ أي تأكيد نفي ما بعدها.

ومثال «من» قوله تعالى: ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٌ ... ﴾{المائدة: ١٩}.

ومثال «ما» قول البحتري:

وإذا ما جفيتُ كنت حريّا ... أن أرى غير مصبح حيثُ أمسي

ومثاله من شعر البارودي في وصف بعض مظاهر شيخوخته من ضعف بصره وثقل سمعه:

لا أرى الشَّيءَ حين يسنح إلاّ ... كخيال كأنني في ضباب

وإذا ما دعيتُ حرت كأني ... أسمع الصوت من وراء حجاب

فما قد زيدت بعد «إذا» في المثالين السابقين لتأكيد معنى هذا الظرف.

و «لا» تزاد مؤكدة قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾{الواقعة: ٧٥}، فلا زائدة، والمعنى فأقسم بمواقع النجوم.

ومثال «الكاف» قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾{الشورى: ١١}، والكاف من باب التأكيد. ومثال «إنْ» كقولك: (ما إنْ قصَّرْتُ بواجب)، ومثال «أنْ» قولك: (لما أنْ ظَهرَ لي الحق اتبعتُه).

والحرف الزائد في القرآن زائدة من حيث الإعراب وإنما من حيث المعنى فليس بزائد.

١٠ – «حروف التنبيه»: ومما يزاد أيضاً حروف التنبيه، ومنها «ألا وأما» بفتح الهمزة والتخفيف. و «ألا» قد تزاد للتنبيه، وعندئذ تدلُّ على تحقق ما بعدها، ومن هنا تأتي دلالتها على معنى التأكيد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ ﴾{يونس: ٦٢–٦٣}، وقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾{البقرة: ١٣}.

و «أما» حرف استفتاح وهي بمنزلة «ألا» في دلالتها على تحقق ما بعدها تأكيداً، ويكثر مجيئها قبل القسم، لتنبيه المخاطب على استماع القسم وتحقيق المقسم عليه، نحو قوله أبي صخر الهذلي:

أما والذي أبكى وأضحكَ والذي ... أماتَ وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعهما النفر[1]

١١ – «التكرير»: نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ ﴾{النبأ: ٩–١١}، فكرر الله تعالى كلمة (جعلنا) للتأكيد.

المطلب الثالث: أقسام الخبر باعتبار حال المخاطب

أقسام الخبر باعتبار حال المخاطب ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأول: الابتدائي: وهو ما يلقى إلى خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر، ومن التردد فيه، وهذا الضرب لا يحتاج إلى تأكيد؛ لأنه – كما علمت – يلقى إلى خالي الذهن، إذ يصادف ذهناً خالياً فيتمكن

[1] لا يروعهما النفر: لا يفزعهما التفرق أو الفراق.

منه عند وصوله إليه، وذلك كقولك: نجح محمد، ومحمد ناجح، وكقوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ... ﴾{الكهف: ٤٦}.

وإنما سمِّي هذا الضرب ابتدائياً، لأنه يلقى إلى المخاطب ابتداءً دون سابق علم للمخاطب به.

والثاني: الطلبي: وهو ما يلقى إلى المتردد في قبول الخبر ورفضه. وهذا الضرب يحسن تقويته بمؤكد واحد، كقولك: لمحمد ناجح، وإن محمداً ناجح، وكقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

دقاتُ قلبِ المرءِ قائلة له ... إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوان

وإنما سمِّي هذا الضرب طلبياً؛ لأنَّ المخاطب به طالب لنوع من التأكيد يزيل به تردده.

والثالث: الإنكاري: وهو ما يلقى إلى المنكر للخبر والرافض لقبوله. وهذا الضرب يجب تأكيده بحسب قوة الإنكار وضعفه، فكلما ازداد الإنكار زيد في التأكيد، وذلك مثل قولك لمنكر نجاح محمد: إنَّ محمداً ناجحٌ، فإذا زاد في إنكاره قلت له: والله إنَّ محمداً لناجحٌ، ومثل: إنَّ أخاكَ قادمٌ، أو إنه لقادمٌ، أو والله إنه لقادمٌ. وهكذا.

واعلم أنه كما يكون التأكيد في الاثبات، يكون في النفي أيضاً، نحو: ما المقتصد بمفتقر، ونحو: والله ما المُستشير بنادمٍ.

المبحث الثاني

تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجميلة اسمية

(أ) **الجملة الفعلية:** ما تركبت من فعل وفاعل» أو من فعل ونائب فاعل: وهي – موضوعة لإفادة التّجدد والحدوث في زمن معين مع الاختصار، نحو: يعيشُ البخيلُ عيشة الفقراء، ويُحاسبُ في الآخرة حساب الأغنياء. ونحو:

أشرقتِ الشَّمسُ وقد ولَّى الظلامُ هارباً

فالشكرُ لله الأحد شكراً عظيماً واجباً

فلا يستفاد من ذلك إلاّ ثبوتُ الاشراق للشمس، وذهاب الظلام في الزمان الماضي.

وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجدّدي شيئاً فشيئاً بحسب المقام، وبمعونة القرائن، لا بحسب الوضع بشرط أن يكونَ الفعلُ مضارعاً، نحو قول المُتنبي:

تُدبِّر شرقَ الأرضِ والغربَ كفُّهُ ... وليسَ لها يوماً عن المجد شاغلُ

فقرينة المدح تدلّ على أنَّ تدبير الممالك الشرق والغرب بكفه، فإنه بسيفه وقوة يده يدبرها، ومع كل هذا الشغل العظيم ليس لها شيءٌ يشغلها وقتاً عن الجود، أي لا يغفل عن الجود وإن عظم شغله، وهذا شأنه المستمر الذي لا يحيد عنه، ويتجدّد آناً فآناً.

(ب) **والجملة الاسمية:** هي ما تركبت من مبتدأ وخبر، وهي تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غيرُ – بدون نظر إلى تجدّد ولا استمرار – نحو الأرض متحركة – فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض، بدون نظر إلى تجدّد ذلك ولا حُدُوثه.

وقد تخرج الجملة الإسمية عن هذا الأصل، وتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن: إذا لم يكن في خبرها فعل مضارع: وذلك بأن يكون الحديث في مقام المدح، أو في معرض الذم، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾{القلم: ٤}، فسياق الكلام في معرض مدح أخلاق الرسول (صلى الله عليه وسلم) دالٌّ على إرادة الاستمرار مع الثبوت، ومنه قول النضر بن جؤبة يتمدَّح بالغنى والكرم:

لا يألف الدِّرهمُ المضروبُ صُرَّتنا ... لكن يَمرُّ عليها وهو منطلقٌ

فالشاعر يفتخر بنفسه بأنَّ دراهمه لا تبقى؛ لأنه ينفقها في طرق الخير، والدرهم الذي يأتيه لا يبقى إلاّ ربما يمرُّ بصرته مرور الكرام، حتى يأتي إلى نذل يبقيه بقاء الدهر؛ لأنه لا ينفقه بل يصره حتى يكاد أن يتمزق من صره إياه.

والشاهد هنا قوله: (وهو منطلقٌ) حيث عبر بمنطلق للأشعار بأنَّ انطلاق الدراهم من الصرة أمر ثابت لا يتجدد وأنَّ الدراهم ليس لها استقرار في الصرة، مبالغة في المدح بالكرم.

ولو قال: (يمرُّ عليها وهو ينطلق) لأفاد أنَّ الانطلاق يتجدد، ومعني هذا أنهم يمسكون الدراهم زماناً ثم ينفقونها.

واعلم أنَّ الجُملة الإسمية لا تُفيد الثُبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن، إلاّ إذا كان خبرها مفرداً نحو: الوطنُ عزيزٌ، أو كان خبرها جملة إسمية نحو: الوطنُ هو سعادتي.

أما إذا كان خبرها فعلاً فإنها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدد والحدوث في زمن مخصوص، نحو: الوطنُ يسعدُ بأبنائه، ونحو قول البحتري:

تعيبُ الغانياتُ على شيبي ... ومن لي أن أمتع بالمشيب

وقال الصلتان العبدي:

نروحُ ونغدو لحاجاتِنا ... وحاجةُ من عاشَ لا تنقضي

تموتُ مع المرءِ حاجاته ... وتبقى له حاجةُ ما بقيَ

الباب الثاني

حقيقة الإنشاء وتقسيمه

المبحث الأول: تعريف الإنشاء وتقسيمه

المطلب الأول: تعريف الإنشاء لغة واصطلاحاً

الإنشاء لغة: الإيجاد والاختراع.

واصطلاحاً: كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته، مثل: "اغفر، وارحم"، وكقولك: "أعطني القلم"، و"اقرأ الموضوع"، و "اطلب العلمَ من المهد إلى اللَّحْدِ، و "واجتهد في جميع دروسك" فلا تنسب العبارات لقائلها صدق ولا كذب.

المطلب الثاني: أقسام الإنشاء

ينقسم الإنشاء إلى قسمين:

أ- **طلبي:** وهو ما يستدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب.

وأنواعُه خمسةٌ، هي: الأمرُ، والنهيُ، والاستفهامُ، والتمنيِّ، والنداءُ.

ب- **غير طلبي:** هو: ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب.

ويكون: بصيغ المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب والرجاء، وكذا يكون بربَّ ولعلَّ، وكم الخبرية.

والفرق بين الانشاء الطلبي وغير الطلبي: أنَّ الطلبي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، بخلاف غير الطلبي، فحينما يقالُ: (اكتُبْ) مثلاً، فإنَّ المخاطب بهذه الجملة يتفاعل مع هذا الطلب، ومن ثمَّ يقوم بالكتابة، إذن فقد استدعى هذا الأسلوب شيئاً، وترتب عليه شيء في الوجود، لم يكن موجوداً قبل الأمر، ومثله: (لا تغفل) فسيترتب على هذا النهي عدم غفلة المخاطب، وهكذا بقية الأساليب الإنشائية الطلبية.

أمّا غير الطلبي فإنه لا يستدعي مطلوباً، فحينما يقالُ: ما أجملَ هذا المكان، هذا القول، لا يستدعي مطلوباً، ولا يترتب على هذا القول شيء في الوجود.

المبحث الثاني

أقسام الإنشاء الطلبي

المطلب الأول: الأمر تعريفه، وصيغه، ومعانيه

الأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب: على وجه الاستعلاء مع الالزام، وله أربع صيغ:

(١) فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ ... ﴾{مريم: ١٢}. وكقولك: "أعطني كتابك".

(٢) والمضارع المجزوم بلام الأمر، كقوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ ... ﴾{الطلاق: ٧}. وكقولك: "ليؤدِّ كل منكم واجبه".

(٣) واسم فعل الأمر: وهو ما دلَّ على طلب، لكنه لا يقبل علامة الفعل الأمر، كقولك لآخر: "صه عن الغيبة والنميمة"، أي كف عنهما، ونحو: "حي على الفلاح" أي أقبل على ما فيه الخير والسعادة، ونحو "آمين" بمعنى استجب. و(عليك) بمعنى: الزم.

(٤) والمصدر النائب على فعل الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ... ﴾{النساء: ٣٦}، أي: وأحسنوا إِحْسَانًا بهما.

ونحو: (سعياً في سبيل الخير، ورفقًا بالضعفاء، وصبراً على البأساء)، والأصلُ: اسْعَ سَعْياً، حذف فعلُ الأمر وأُقيم المصدر مقامه.

ومنه قول ابن الفجاءة:

فَصبراً في مَجالِ المَوْتِ صَبراً ... فما نيلُ الخُلودِ بِمُستطاعِ

أي: اصبر.

فورية الأمر وتراخيه:

اختلف علماء البلاغة في صيغة الأمر عند تجردها من القرائن، هل تقتضي الامتثال فوراً، أو على التراخي، أو ما هو أعم منهما؟

فالجمهور على أنَّ مدلول صيغة الأمر هو طلب حصول الفعل مطلقًا عن قيد الفورية؟ أو التراخي، فالمأمور يكون ممتثلًا للآمر بالإتيان بالفعل المأمور به سواء أتى به فوراً، أو بعد مهلة، ولا يتعين أحدهما إلاّ بقرينة، وهذا هو الراجح.

وقال السكاكي: "والأمر والنهي حقهما الفور والتراخي يوقف على قرائن الأحوال لكونهما للطلب"[1]. أي: حق الأمر أن يدلَّ على وجوب حصول الفعل المأمور به عقيب ورود الأمر في أول أوقات الإمكان وجواز التراخي مفوض إلى القرينة، وهذا مذهب بعض الأصوليين أيضاً، فإذا قيل: افعل معناه: افعل فوراً، ولا يدلُّ على التراخي إلاّ بالقرينة، وإنَّ صيغة الأمر مدلولها طلب ماهية الفعل مطلقاً لا بقيد المرة أو التكرار ولا بقيد الفورية أو التراخي فيكون المأمور ممتثلا للأمر بالإتيان بالفعل المأمور به على سبيل الفور أو التراخي ولا يتعين أحدهما في مدلولها إلاّ بقرينة"[2].

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناه الأصلي وهو (الإيجاب والالزام) إلى معان أخرى: تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال.

١- كالدعاء في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ... ﴾{النمل: ١٩}.

٢- والالتماس: وهو طلب الفعل الصادر عن الأنداد والنظراء المتساوين قدراً ومنزلة وسِنّاً، ويكونُ عادةً من الإنسان لمن هو أعلى منه، أو لمساويه، كما تقول لمن هو في منزلتك: «أعطني كتابك». ونحو قولك لصديقك: «أعطني القلم».

٣- التهديد: إذا استعملت الصيغة في مقام عدم الرضا بالمأمورية كقوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾{فصلت: ٤٠}، أي: فَسَتَلْقَونَ عِقابَ أعمالكم في النار، وإنما كان تهديدًا؛ لأنَّ أمرهم بكل عمل شاءوا، أو بكل عمل بدا لهم ليس مرغوباً فيه.

وكقولك: "افعلوا ما بدا لكم".

---

[1] مفتاح العلوم، ص: ٣٢٠.

[2] حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني: ٤١٩/٢.

٤- التعجيز: إذا استعملت الصيغة في مقام إظهار عجز المدَّعي، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾{البقرة: ٢٣}، وإنما كان تعجيزاً؛ لأنَّ الإتيان بسورة من مثله فوق مقدورهم، ومن التعجيز قول الشاعر المهلهل بن ربيعة:

يا لَبَكْرٍ أنشروا لي كُلَيباً ... يا لَبَكْرٍ أينَ أينَ الفرارُ

فالأمر هنا مراد به التعجيز؛ لأنَّ المقصود به: إعادة الحياة لكليب، وذلك فوق مقدورهم، وخارج عن طوقهم.

وكقول الفرزدق يخاطب جريراً:

أُولئك آبائي، فَجِئْني بمِثْلِهِمْ... إذا جَمَعَتْنا يا جَريرُ المَجامِعُ

٥- التهكم والإهانة: إذا استعملت الصيغة في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾{الإسراء: ٥٠}.

٦- الإباحة: إذا استعملت الصيغة، حيث توهم المخاطب عدم جواز الإتيان بالشيء، كقوله تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾{البقرة: ٦٠}، فالمراد بهذا الأمر، بيان حكم الأكل والشرب وأنه مباح لا حظر فيه.

٧- التخيير، مثل: "خُذْ هذا أو ذاكَ"، وكقول المتنبي:

عِشْ عزيزاً أَوْ مُتْ وأَنْتَ كريمٌ... بَيْنَ طَعْنِ القَنا وَخَفْقِ البُنودِ

وكقول البحتري:

فمن شاء فلْيَبْخلْ ومن شاء فلْيجُدْ... كفاني نداكُم عن جميع المطالبِ

فقوله: (فلْيَبْخلْ، فلْيجُدْ): الشاعر هنا يُخَيِّرُ بين من يريد البخل ومن يريد الجد فخرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى (التخيير).

ملحوظة:

الفرق بين التخيير والإباحة: أنَّ التخيير لا يجوز الجمع بين الشيئين، والإباحة تجوّزه ففي الإباحة إذن بالفعل وإذن بالترك.

٨- التسوية بين الشيئين: إذا استعملت الصيغة في مقام توهم المخاطب فيه أرجحية أحد الطرفين المتساويين كقوله تعالى: ﴿ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾{الطور: ١٦}.

وكقول الشاعر:

أَسِيئي بنا أَوْ أحْسِني لا مَلُومَةٌ... لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

٩- التمني: إذا استعملت الصيغة في معنى لا طماعية في حصوله، كقول أبي العلاء المَعَرِّيّ:

فيا مَوْتُ زُرْ إنَّ الحَياةَ ذَمِيْمَةٌ... ويا نَفْسِ جِدِّي إنَّ دَهْرك هازِلُ

١٠- الترجّي: ويكونُ في المطموع فيه، والمترقّب الحصول عليه، كقول امرؤ القيس:

أَلا أيُّها الليلُ الطويلُ أَلا انجلي ... بِصُبحٍ وما الإصباحُ مِنكَ بأمثلِ[1]

فليس الليل مما يوجه إليه أمر أو نهي، وإنما الشاعر يشكو من طول ليله، ويود لو ينكشف الصبح ليتخلص من هموم الليل والألم والسهر.

١١- الإكرام: كقوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾{الحجر: ٤٦}، فليس المراد: الأمر بالدخول لحصوله وقتئذ، وإنما الغرض: إظهار إكرامهم وأنهم يستحقون هذا النعيم بما قدموا من خير.

١٢- الإذن: كقولك لمن طرق الباب: "أدخل" تريد الإذن له بالدخول.

١٣- الإرشاد والنصح والاعتبار: وهو الطلب الذي لا تكليف ولا إلزام فيه، وإنما هو طلب يحمل بين طيّاته معنى النصيحة والموعظة والإرشاد، والاعتبار، فالأول كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ

---

[1] الشاعر امرؤ القيس فارق محبوبته، فبسبب ذلك هو محزون ومعذَّبٌ دائماً ليلاً ونهاراً، فيقول مخاطباً الليل بعد مناداته: إنني حزينٌ مهمومٌ فزُل أيها الليلُ الطويلُ، واطلع يا نهار، مع أنك يا نهار لو طلعت فلست أحسنُ حالاً من الليل؛ لأنَّ همومي وأحزاني باقية مستمرة سواء بالليل أم النهار، فأقاسيها بالنهار كما أعانيها بالليل.

مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ ... ﴾{البقرة: ٢٨٢}، فالمقصود من الأمر بكتابة الدَّين إرشادنا إلى ما ينبغي، من تدوين ما يجرى بيننا من معاملات تفادياً لما عسى أن يقع من نزاع، والثاني كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ... ﴾{الأنعام: ٩٩}، فليس المراد: مجرد الأمر بالنظر إلى الثمر، وإنَّما الغرض: لفت النظر إلى ما في قدرة الله تعالى من إبداع ليعتبروا ... إلى غير ذلك من الأغراض.

المطلب الثاني: النهي تعريفه، وصيغه، ومعانيه

النهي: طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، كقول السيد لعبده: "لا تفعل كذا".

ولصيغة النهي صورة واحدة هي الفعل المضارع المقرون "بلا الناهية" كقوله تعالى: وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ... ﴾{الأعراف: ٥٦}، فقد أفاد النهي في الآية الكريمة طلب الكف عن الإفساد في الأرض.

ومثل قول الشاعر:

لا تَحْسبِ المجدَ تَمْراً أنتَ آكلهُ ... لنْ تبلغَ المجدَ حتّى تلعقَ الصبرا

المعنى الحقيقي لصيغة النهي:

هو– على ما ذهب إليه الجمهور– طلب ترك الفعل طلباً جازماً وهذا أرجح الأقوال، وقيل: غير ذلك مما لا مجال لذكره.

والفرق بين الأمر والنهي:

١. أنَّ كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر.

٢. أنَّ الأمر دالّ على الطلب، والنهى دالّ على المنع.

المعاني المجازية لصيغة النهي:

تخرج صيغة النهي – كما في الأمر – عن معناها الحقيقي إلى معان مجازية تفهم من سياق الكلام، منها:

١. الدعاء: وذلك عند ما يكون صادراً من الأدنى إلى الأعلى منزلةً وشأناً، ويكون عادةً من العبد لربّه إذا استعملت الصيغة في مقام التخضع والاستعطاف مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ ... ﴾{البقرة: ٢٨٦}.

وقول كعب بن زهير:

لا تأخذنّي بأقوالِ الوشاةِ ولمْ ... أذنب ولوْ كثرتْ فيَّ الأقاويلُ

٢. الالتماس: وذلك عند ما يكون النهي صادراً من شخص إلى آخر يساويه قدراً ومنزلة، كقولك لزميلك: لا تبرحْ مكانكَ حتّى أعودَ إليكَ.

وكقول الشاعر:

لا تَطْوِيا السِّرَّ عَنِّي يَوْمَ نَائِبَةٍ... فَإنَّ ذلك ذَنْبٌ غَيْرُ مُغْتَفَرِ

وكقول شاعر معاصر من قصيدتين:

لا تَحْسبوا البُعدَ ينسيني مودتكم ... هيهاتَ هيهاتَ أنْ تنسى عليَّ الزَّمن

٣. التهديد: وذلك عند ما يقصد المتكلم أن يخوّف من هو دونه قدراً ومنزلة عاقبة القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم، كأن تقول لمن هو دونك: "ألا تمتثل أمري"، وإنما كان تهديدًا للعلم الضروري بأنَّ السيد لا ينهى خادمه عن امتثال أمره بل الحال بالعكس فكأنه يقول: سترى ما يسوؤك لعدم امتثالك.

٤. النصح والإرشاد: وذلك عند ما يكون النهي يحمل بين ثناياه معنى من معاني النصح والإرشاد، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ... ﴾{المائدة: ١٠١}، والمقصود بهذا النهي: إرشاد المسلمين إلى أنه لا ينبغي التدخل في أمور يسوء وقعها، ولا يسرّ العلم بها.

وكقول أبي العلاء المعرّي:

ولا تجلِسْ إلى أهلِ الدّنايا... فإنَّ خلائقَ السّفَهاءِ تُعدي

فهو ينصح مخاطبه ويرشده إلى الابتعاد عن السفهاء، وأهل الدنايا، قد عبر بصيغة النهي؛ لبيان رغبته وحرصه على أن يمتثل المخاطب ويستجيب لنصحه وإرشاده.

وكقول أحمد شوقي:

لا تَسمعوا للمرجفينَ وجهلهمْ ... فَمصيبةُ الإسلام من جهالهِ

وكقول أبي العلاء المعرّي:

لا تَحْلِفَنَّ على صِدْقٍ ولا كَذِبٍ... فلا يُفِيدُك إلاَّ الْمَأْثَمَ الحَلِفُ

٥. التيئيس: ويكون في حال المخاطب الذي يهمّ بفعل أمر لا يقوى عليه أو لا نفع له فيه من وجهة نظر المتكلم، كأن تقول لشخص يحاول نظم الشعر وليس لديه ملكة الشعر وأدواته: «لا تحاولْ نظمَ الشِّعر»، ونحو قوله تعالى في بيان حال الكافرين: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ... ﴾{التوبة: ٦٦}، والمقصود من الآية لا فائدة في الاعتذار وأنكم في يأس مما تأملون.

ومنه قول المتنبي في مدح سيف الدولة:

لا تطلبنَّ كريماً بعدَ رؤيتهِ ... إنَّ الكرامَ بأسخاهم يداً ختموا

٦. التمني: وذلك عندما يكون النهي موجّهاً إلى ما لا يعقل، ويكون عادة في الميؤوس من الحصول عليه، أو فيما هو بعيد المنال، كما في قول الشاعر:

يا لَيْلُ طُلْ يا نَومُ زُلْ ... يا صُبْحُ قفْ لا تَطْلُعِ

والشاهد في "لا تطلع" فليس مستعملًا في معناه الحقيقي إذ لا يوجه إلى الصبح أمر أو نهي، وإنما كان الغرض: التمني؛ لأنه يستمرُّ مع حبيبته، فهو يودُّ ألا يطلع الصبح، ليطول استمتاعه بحبيبته والتحدث إليها ما شاء له الهوى.

٧. التوبيخ: عند ما يكون المنهيّ عنه أمراً لا يشرف الإنسان ولا يليق أن يصدر عنه، كقول المتنبي:

لا تحسِبِ المجدَ تَمراً أَنت آكِلُه... لن تِبْلُغَ المجدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبرا

وقول أبي الأسود الدؤلي:

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتَأْتِيَ مِثْلَهُ... عارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ

فالمراد بأسلوب النهي (لا تنهَ)، توبيخ من ينهى الناس عن الشر والسوء ولا ينتهي هو عنه.

٨. التحقير: وذلك عندما يكون الغرض من النهي الإزراء بالمخاطب والتقليل من شأنه وقدراته، كقول الشاعر:

لا تَطْلُبِ المَجْدَ واقْنَعْ ... فَمَطلبُ المجدِ صَعبٌ

لا تَحْسبوا من قتلتم كانَ ذا رمقٍ ... فَلَيْسَ تأكلُ إلّا الميتةَ الضَّبعُ

لا تَطْلُبِ المَجْدَ إنَّ المجدَ سُلَّمهُ ... صَعبٌ، وعِشْ مستريحاً ناعمَ البال

ومنه قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر:

دَعِ المَكارِمَ لا تَرْحَلْ لبُغْيَتها ... واقْعُدْ فإنَّكَ أنْتَ الطّاعِمُ الكاسي

المطلب الثالث: الاستفهام تعريفه، وأدواته، وأنواعه

أولاً: تعريف الاستفهام لغة واصطلاحاً:

الاستفهام في اللغة: طلب الفهم.

واصطلاحاً: وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأدوات خاصة؛ لتحصيل فائدة عمليّة مجهولة.

ثانياً: أدوات الاستفهام:

أ. حروف الاستفهام نوعان أشهرها: الهمزة وهل.

ب. أسماء الاستفهام: من، ما، أيّ، كيف، أين، أيّان، متى، أنّى وكم الاستفهامية.

من أدوات الاستفهام: (الهمزة).

أمثلة للهمزة:

١ – أفاطمة فازت بالجائزة أم ليلى؟

٢ – أكاتب أنت أم شاعر؟

٣ – أمبكراً حضرت إلى الجامعة أم متأخراً؟

٤ – أقلما أهديتَ إلى صديقك أم كتاباً؟

٥ – أأسبوعاً قضيت في الجبل أم أكثر من أسبوع؟

فهذه الجمل جميعها تفيد الاستفهام الذي هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وأداة الاستفهام في كل منها هي الهمزة.

أمثلة «هل»:

١ – هل تنام الطيور في الليل؟

٢ – هل تحبُّ كرة القدم؟

٣ – هل يتألم الحيوان؟

٤– هل سافرَ والدك؟

ثالثاً: أنواع الاستفهام

الأول: حرف، وهما (الهمرة) و(هل).

١– تستعمل (الهمزة) لطلب التصور أو التصديق.

أ– لطلب التصديق وهو إدراك النسبة، أي: تعيينها، مثل: «أسافرَ عليٌّ؟» تستفهم عن حصول السفر وعدمه، ولذا يجابُ «بنعم» أو «لا».

ب– ولطلب التصور وهو إدراك المفرد، أي: تعيينه، كقولك: أعليٌّ مسافرٌ أم خالد؟ تعتقد أنَّ السفر حصل من أحدهما، ولكن تطلب تعيينه، ولذا يجابُ بالتعيين، فيقالُ: «عليٌّ» مثلاً.

٢– أما (هل) فلا يطلب بها غير التصديق، مثل: «هل سافر محمد؟»، والجواب عنها يكون بـ «نعم» أو «لا».

الفرق بين (هل) و (همزة الاستفهام)

هناك عدة فروق بين هل والهمزة، منها:

١. تستعمل (الهمزة) لطلب التصور أو التصديق، مثل: أسافرَ عليٌّ؟، وكقولك: أعليٌّ مسافرٌ أم خالد؟

أمّا (هل) فلا يطلب بها غير التصديق، مثل: هل سافرت فاطمة؟

٢. الهمزة لها الصدارة في الكلام، وحروف العطف (الفاء، والواو، وثمَّ)، تأتي بعدها، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾{الواقعة: ٦٣-٦٤}، وقال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ... ﴾{الأنعام: ١٢٢}، وقال تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ... ﴾{يونس: ٥١}.

وهل: ليس لها الصدارة في الكلام، وحروف العطف تأتي قبلها، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنتُم شَٰكِرُونَ ﴾{الأنبياء: ٨٠}، وقال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾{طه: ٩}.

٣. الهمزة تدخل على إنَّ، كقوله تعالى على لسان إخوة يوسف (عليه السلام): ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ... ﴾{يوسف: ٩٠}، وتدخل على أسلوب الشرط (إن الشرطية)، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾{الأنبياء: ٣٤}، بخلاف هل.

٤. الهمزة: ترد معها (أم) المعادلة ويسمّى الاستفهام تصورياً، قال قيس بن الملوح:

حمامُ الأيكِ مالكَ باكياً

أفارقتَ إلفاً أم جفاكَ حَبيبُ

وهل: لا ترد معها (أم) المعادلة المتصلة العاطفة، وإن وردت (أم) في سياق جملتها سُميت (أم) المنقطعة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ... ﴾{الرعد: ١٦}.

٥. (الهمزة): تدخل على الجمل المثبتة والجمل المنفية، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾{الشرح: ١}، وقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾{التين: ٨}، و (هل): تدخل على الجمل المثبتة فقط ولا تدخل على الجمل المنفية ويكون نوع الاستفهام فيها (تصديق مثبت فقط)، مثل: هلْ سافرَ أبوكَ؟

الثاني: أسماء، ولا يطلب بها إلاّ التصور.

وهي (من، ما، أيّ، كيف، أين، أيّان، متى، أنّى وكم الاستفهامية).

١- (مَنْ): تُستعمل للعقلاء، تقولُ: مَنْ في البيت؟ أو مَنْ في الصف؟ فيقالُ لك فلانٌ مثلاً.

٢- (ما): ما: ويستفهم بها عن غير العاقل وهي على ثلاثة أقسام:

الأول: ما يطلب به إيضاح الاسم وشرحه كأن تسمع لفظًا لا تعرف معناه، فتقول، ما هو؟ طالباً أن يبين لك مدلوله اللغوي كقولك: "ما العَسجدُ؟" فيقالُ: "ذهب"، أو "ما اللُّجين"؟ فيقال في الجواب: إنه فضة.

الثاني: بيان حقيقة الشيء وماهيته، كما يقال: "ما الشمس"؟ أي ماهيتها: فيجاب: كوكبٌ نهاري، أو "ما الأسدُ"؟ فيقالُ في الجواب: حيوانٌ مفترسٌ، وهكذا.

الثالث: بيانُ صفةِ الشيءِ، نحو: "ما خليلٌ"؟ وجوابهُ طويلٌ أو قصيرٌ: مثلاً، أو قولك لقادمٍ عليك: "ما أنت"؟ طالباً شرح حال المخاطب، كأنكَّ تقول: أي وصف يقالُ فيك؟ وجوابه: زائرٌ مثلاً.

٣- (متى): ويسأل بها عن الزمان ماضيًا كان أو مستقبلًا تقول: "متى قدمت"؟ يقالُ في طلب تعيين الزمان الماضي، فتجاب: "أمس"، وتقول: "متى تسافر"؟ يقالُ في طلب تعيين واحد من زمني الحال والاستقبال، فتجاب: "هذه الساعة"، أو "بعد أسبوع أو بعد شهر".

٤- (أيّانَ): ويسأل بها عن الزمان المستقبل خاصة، فيقال: "أيان يثمرُ هذا الشجر"؟ فيجاب: بعد شهرين، أو ثلاثة، أو بعد سنة. وقد تستعمل في مواضع التفخيم والتهويل كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾{الذاريات: ١٢}، فإنَّ الغرض: تفخيم هذا اليوم، وجواب هذا السؤال: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾{الذاريات: ١٣}.

٥- (كيفَ): ويسأل بها عن الحال، فيقال: "كيف صحتك"؟، أي على أي حالة هي، فيجاب: جيدة أو معتدلة، ويقال: "كيف وجدت صاحبك"؟ أي على أية حال وجدته، فيجاب: وجدته صحيحًا، أو مريضًا، أو مسرورًا أو حزينًا، ويقال: "كيف أتى إليك فلان؟" أي على أي حال أتى إليك، فيجاب أتى ماشيًا، أو راكبًا ... وهكذا.

٦- (أينَ): ويسأل بها عن المكان، فيقال: "أين بيتك؟" و"أين تذهب؟" و"أين قضيت يومك"؟ فيجاب عن كل هذا بأسماء الأماكن. وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾{الأنعام: ٢٢}، وقال تعالى: ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾{القيامة: ١٠}.

٧- (أنّى): موضوعةٌ للاستفهام، وتأتي على عدة معان، منها:

الأول: أن تكون بمعنى "كيف" كما في قوله تعالى على لسان مريم: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ... ﴾{آل عمران: ٤٧}، وكقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ... ﴾{البقرة: ٢٥٩}؟ على معنى كيف في المثالين، ويجب – والحالة هذه – أن يليها الفعل "كما مثلنا" بخلاف "كيف" فلا يجب فيها ذلك كما تقدَّم في أمثلتها.

الثاني: أن تكون بمعنى: "من أين" كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ... ﴾{آل عمران: ٣٧}، على معنى: "من أين لك هذا الرزق"؟ بدليل قولها: "هو من عند الله".

الثالث: تأتي بمعنى "متى" كما في قولك: "أنَّى يفيضُ هذا النيل" أي متى يفيضُ؟ أو تقول: "زرْهُ أنَّى شئتَ"؟ أي متى شئت.

٨- (كم): ويسأل بها عن العدد المبهم، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ ... ﴾{الكهف: ١٩}، وقوله تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ ﴾{المؤمنون: ١١٢-١١٣}، ويقالُ: "كم كتابًا عندك"؟ فيجاب: كذا من الأعداد.

٩- (أيٌّ): ويطلب بها تعيين واحد مما أضيفت إليه، كما في قوله تعالى: ﴿ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴾{مريم: ٧٣}، ويجاب بتعيين واحد من المضاف إليه، وهي بحسب ما تضاف إليه، فتكون للزمان، أو المكان إذا أضيفت إليهما، وتكون للحال، أو العدد كذلك وتضاف إلى العاقل، وإلى غيره، فيقال: "أيُّ الأيام قدمت"؟، و"أيُّ الأماكن نزلت"؟، و"على أيِّ الأحوال كنت"؟، "وأيُّ الرجال بني قلعة أربيل"؟، "وفي أيِّ الكتب تقرأ"؟.

رابعاً: استعمال أدوات الاستفهام في غير معناها الحقيقي:

تخرج هذه الأدوات عن معناها الحقيقي إلى معان مجازية، تفهم من سياق الكلام بواسطة القرائن، منها:

١- الأمرُ: وقد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي للدلالة على معنى الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾{المائدة: ٩١}.

٢- النهي: كقوله تعالى: ﴿ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾{التوبة: ١٣}، بمعنى: لا تخشوهم فالله هو الجدير بالخشية منه.

ومنه قول الشاعر:

أتقول: أفٍّ للتي ... حملتك ثمَّ رعتك دهراً؟

أي: لا تقل: أفٍّ لأمك.

وقول الشاعر:

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرأً... ونارٍ تَوَقَّدُ في اللَّيْل ناراً؟

أي: لا تَحْسَبي ذلك.

٣- التسويةُ: وتأتي الهمزة للتسوية المصرح بها، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾{البقرة: ٦}، أي: إنذارهم وعدمه سواء، فهم معرضون ولا يؤمنون.

وكقول المتنبي:

وَلَستُ أُبالي بَعدَ إدراكِيَ العُلا أَكانَ تُراثاً ما تَناوَلتُ أَم كَسبا

معنى البيت: إذا استوليت على معالي الأمور فما أبالي أن أكون بلغتها عن إرثٍ أو كسبٍ.

٤- النفيُ: وذلك عند ما تجيء لفظة الاستفهام للنفي لا لطلب العلم بشيء كان مجهولاً، كقوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾{الرحمن: ٦٠}، أي: ليس جزاء الإحسان إلاّ الإحسان.

وقول أبي فراس في رثاء أمه:

إلى منْ أشتكي؟ ولمنْ أناجي... إذا ضاقتْ بما فيها الصدورُ؟

بأيّ دعاء داعية أوقى؟ ... بأيِّ ضياء وجهٍ استنير؟

٥ – الإنكار: وقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على أنَّ المستفهم عنه أمر منكر عرفاً أو شرعاً، نحو قولك لمن يقف بسيارته في طريق عام من غير سبب: «أتعوق غيرك عن السير في الطريق؟» ونحو قولك لمسلم يأكل أو يدخن نهاراً في رمضان: «أتأكل أو تدخن في شهر الصيام؟» فأنت في كلا السؤالين تنكر على المخاطب صدور مثل هذا العمل الشائن منه وتقرّعه عليه.

وهو قسمان: تكذيبي، وتوبيخي.

أ- الإنكار التكذيبي: ومعناه أن ما بعدها غير واقع، وأن مدَّعيه كاذبٌ. قال تعالى: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا﴾{الإسراء: ٤٠}، أي: أخصكم ربكم بالذكور وخصّ نفسه بالبنات؟ والمقصود أنه لم يفعل هذا لتعاليه عن الولد مطلقاً.

ونحو قول امرئ القيس:

أَيَقْتلني والمشرفي مَضاجعي ... ومسنونة زرق كأنيابِ أغوال؟[1]

ب- الإنكار التوبيخي: ومعناه أن ما بعدها واقع ولكنّه قبيحٌ، وفاعله يستحق التوبيخ على أمر وقع في الماضي، أو في الحال أو خيف وقوعه في المستقبل، نحو قولك لمن صدر منه عصيان في الماضي: «أعصيت ربك؟، ونحو: «أتعصي ربك؟» تقول هذا لمن هو واقع في المنكر أو لمن همَّ أن يقع فيه، على معنى: لا ينبغي أن يحدث منك حالاً أو يصدر عنك استقبالاً.

٦- الاستئناس: فقد يقصد المتكلم من الاستفهام أن يؤانِس من يخاطبه، فيطرح عليه أسئلة لغرض المحادثة، مع أنَّ المتكلم يعلم جواب أسئلته، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾{طه: ١٧-١٨}، فالعصا الموجودة في يد موسى يعرفها السائل ويراها ويعلم حقيقة أمرها.

٧- التعظيم: وذلك بالخروج بالاستفهام عن معناه الأصلي واستخدامه في الدلالة على ما يتحلّى به المسؤول عنه من صفات حميدة كالشجاعة والكرم والسيادة والملك وما أشبه ذلك، كقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ... ﴾{البقرة: ٢٥٥}؟ والمقصود من الآية يراد تعظيمه سبحانه وتعالى، وأنَّ الأمن في الشفاعة مرجعه إليه، ومنوط بإذنه وإرادته.

وكقول الشاعر:

ومَنْ الّذي تُرْضى سَجايا هُكُلُّها... كفى الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعايِبُهُ؟

أي: إنَّ الذي تُرْضى سجاياه كلُّها رجل عظيم.

وكقول المتنبّي يمدح كافوراً:

وَمَنْ مِثْلُ كافورٍ إذا الخَيْلُ أحْجَمَتْ؟... وكانَ قَلِيلاً مَنْ يَقُولُ لَها اقْدُمي

---

[1] المشرفي: سيف نسب إلى قرى بالشام يقال لها المشارف، والمسنونة الزرق: السهام المسنونة الصافية، والأغوال: جمع الغول، وهو كل ما اغتال الإنسان وأهلكه.

أي: هو عظيم قليل النظير في الحثّ على وُرود المعارك، فأورد الاستفهام والغرض منه التعظيم، والقرينة المْدح.

وكقول الشاعر:

أَضَاعُوني وأَيَّ فَتىً أَضَاعوا؟... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدادِ ثَغْرِ

وأَيَّ فَتىً أضَاعُوا؟: أي أضاعوا فَتىً عظيماً، فالشاعر يعظم من أمْرِ شجاعته.

٨- التحقير: عند ما يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على ضآلة المسؤول عنه وصغر شأنه مع معرفة المتكلم أو السائل به، نحو «من هذا؟». والعلاقة أنَّ المحتقر من شأنه أن يجهل لعدم الاهتمام به فيسأل عنه والاحتقار فيه إظهار حقارة المخاطب وإظهار اعتقاد صغره، ولذلك يصح في غير العاقل نحو: «ما هذا؟»، أي هو شيء حقير قليل. ومما ورد منه في القرآن قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾{الأنبياء: ٥٢}.

فالآية لا تستخبر عن التماثيل بل هي تهدف الى تحقيرها وتهوين شأنها.

وكقولك لآخر: "من أنت"؟ استخفافًا به وازدراء.

ومنه قول الشاعر ابن أبي عيينة:

فَدعِ الوعيدَ فما الوَعيدُ بِضائري ... أطنين أَجْنحةِ الذُّبابِ يَطيرُ؟

أتظنُّ أنكَ للمعالي كاسبٌ ... وخبيّ أمرك شرّة وشنار[١]؟

من أية الطرق يأتي مثلك الكرمُ؟ ... أينَ المَحاجمُ يا كافور والجلم[٢]؟

أيشتمنا عبد الأراقم ضلّة؟ ... فماذا الذي تجدي عليك الأراقمُ[٣]

فقد جعله كأنه قد ظنَّ أنَّ طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير، حتى ظنَّ أنَّ وعيده يضير.

---

[١] الشرة بكسر الشين: الشر والحدة والحرص، والشنار بفتح الشين: أقبح العيب.

[٢] المحاجم: جمع محجمة بكسر الميم وهي الوعاء الذي يجمع فيه دم الحجامة عند المص، والجلم: أحد شقي المشرط. قيل إن كافوراً كان عبدا لحجام بمصر ثم اشتراه الإخشيد.

[٣] الأراقم: حي من تغلب، وعبد الأراقم: كناية عن الأخطل، والضلة بكسر الضاد: ضد الهدى.

٩- التعجُّبُ: ويُسَمَّى اسْتِفْهَاماً تَعْجُبِيّاً حين يَكونُ صَادِراً مِنْ متعجِّبٍ فعلاً، ويُسَمَّى اسْتِفْهَاماً تَعْجبياً حينَ يكونُ الغرض من إيراده إثارَةَ الْعَجَب عنْد مَنْ يخاطَبُ بهِ أو يتلقَّاهُ، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ ... ﴾{الفرقان: ٧}.

فالاستفهام هنا إنما هو للتعجب؛ لأنَّ الكفار لما رأوا الرسول يأكل كما يأكل غيره، ويتردد في الأسواق كما يتردد غيره فيها، تعجبوا من حاله بناء على زعمهم أنَّ الرسول يجب أن يكون مستغنياً عن الأكل والتعيش.

وكقول الشاعر:

مالي أَرَاكُمْ تُنْكِرُون مَكانَتي؟!... الشَّمْسُ لا تَخْفى معَ الإشراقِ

وقول الآخر:

أنشأ يمزق أثوابي يؤدِّبني ... أَبعْدَ شيبي عندي الأدباءُ

١٠- التهكّمُ والاستهزاء: وهو إظهار عدم المبالاة بالمستهزئ أو المتهكم به ولو كان عظيماً، نحو قولك: أعقلكَ يُسَوِّغُ لكَ أن تفعل كذا؟، ونحو قوله تعالى حكاية عن الكافرين في شعيب: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾{هود: ٨٧}.

فليس الاستفهام هنا محمولاً على معناه الحقيقي، إنَّما المقصود السخرية والاستهزاء به؛ لأنَّ شعيباً كان كثير الصلاة، وكان قومه إذا رأوه يصلي تضاحكوا واستهزئوا به.

ومنه قول المتنبي في الدمستق:

أَفي كُلِّ يَومٍ ذا الدُمُستُقُ مُقدِمٌ... قَفاهُ على الإقدامِ لِلوَجهِ لائِمُ

معنى البيت: الدمستق كل يوم مقبل، فيقدم على لقائك ثم ينهزم من بين يديك، فيلوم قفاه وجهه فيقول إلى كم تعرضني للجراحة ولا تكتفي بما تقدم من الانهزام؟!.

وقول زهير بن أبي سلمى:

وما أَدري وَسَوفَ إخالُ أَدري... أَقَومٌ آلُ حِصنٍ أَم نِساءُ

١١- التمنِّي: كما في قوله تعالى في بيان حال الكفار: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ... ﴾{الأعراف: ٥٣}؟

فليس الغرض: الاستفهام عن وجود شفعاء لهم إذ هم يعتقدون أن لا شفيع لهم في ذلك اليوم، ولكنهم يتمنون لو يكون لهم شفعاء يشفعون لهم.

١٢- التنبيه على الضلال والخطأ: نحو قوله تعالى في الكفار: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾{التكوير: ٢٦}؟ فليس الغرض: الاستفهام عن مكان الذهاب، بل المراد: تنبيههم على أنهم ضالون، وأنَّ لا مفر لهم من عذاب الله، فهو لاحق بهم حيثما كانوا.

وقول الشاعر:

أَلَم تَسْمَعي أيْ عَبْدَ في رَوْنَقِ الضُّحَى... بُكاءَ حَماماتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ؟

أي: انتبهي لبكائهِنَّ، فإنّك عندئذٍ تذكرين بُكاء عاشقك.

١٣- التكثير: وقد يعبّر المتكلم عن الكَثْرَة بأسلوب الاستفهام، والأداة المستعملة في هذا غالباً كلمة "كم" وتخرج حينئذ عن الاستفهام وتسمى "كم" الخبرية التي يُعبَّر بها عن الكثرة، كقوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾{البقرة: ٢١١}،؟ فليس المراد: السؤال من عدد الآيات، وهو الذي لا تخفى عليه خافية، إنما الغرض: بيان أنَّ ما أوتي إليهم من الآيات البينات كثير العدد، أي وهم – مع ذلك – يكابرون عناداً.

وكقول أبي العلاء المعرِّي:

صاحِ هذي قُبُورُنا تَمْلأُ الرَّحْـ... ـبَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهد عادِ؟

أي: فقبورٌ كثيرة من عهد عاد.

وغير ذلك من الأغراض.

المطلب الرابع: التمنِّي، تعريفه، وصيغه

أولاً: تعريف التمنِّي

هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلاً، أو لأنه بعيد الحصول، فالأول كما في قول الشاعر:

ليْتَ الكواكبَ تَدْنو لي فأنظِمَها ... عُقودَ مَدْحٍ فَما أرضى لكمْ كَلِمي

وقول أبي العتاهية:

ألا لَيتَ الشّبابَ يَعُودُ يَوْماً... فأُخبرَهُ بما فَعَلَ المَشيبُ

فإنَّ كلاًّ من عودة الشباب ودنو الكواكب أمر غير ممكن وقوعه.

والثاني كقول أحد السوقة: "ليتني وزيراً".

ومنه قول الشاعر:

فَيا ليتَ ما بَيني وبيْنَ أحبَّتي ... من البُعدِ ما بَيني وبيْنَ المَصائبِ

الفرق بين التمني والترجي:

التمنّي: فهو طلب أمْرٍ محبوبٍ أو مرغوبٍ فيه، ولكن لا يُرْجى حصوله في اعتقاد المتمنّي، لاستحالته في تصوُّره، أو هو لا يطمَعُ في الحصول عليه، إذْ يراه بالنسبة إليه معذّراً بعيد المنال، والأداة التي يُتَمنَّى بها هي كلمة: "لَيْتَ"، كقول الشاعر أحمد شوقي:

وما نيلُ المَطالبِ بالتمنِّي ... ولكن تؤخذُ الدُّنيا غلابا

إذاً أسلوب التمني في اللغة العربية يتعلق بأمر مستحيل الحدوث، أو أمر يصعب تحقيقه، بسبب الكسل والتواكل وغير ذلك.

وأما التَّرَجِّي: هو الرغبة في حدوث شيء، أو الحصول على شيء معين مع العمل والاجتهاد والسعي في تحقيقه. مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾{الإسراء: ٧٩}، فالرجاء في هذه الآية الكريمة هو شيء ممكن الوقوع، واقترن بالعمل الذي يؤدي إليه، وهو قيام الليل، فاستخدم القرآن الكريم فيها أسلوب الرجاء وليس التمني.

ويستعمل في الترجّي كلمتان هما: "لَعَلَّ" و"عَسى"، نحو قوله تعالى: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ ... ﴾{المائدة: ٥٢}، وكقوله تعالى: ﴿ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾{الطلاق: ١}.

ثانياً: صيغ التمنِّي

للتمني صيغ أربع هي: (ليت) و (هل) و (لو) و (لعلَّ).

أ- (ليتَ): فهي الصيغة الأصلية الموضوعة للتمني، كقول أبي العتاهية:

ألا ليتَ الشبابَ يَعودُ يوماً ... فأخبرهُ بِما فَعلَ المشيبُ

وبقية الصيغ غير أصلية تنوب عنها، ويتمنّي بها لغرض بلاغي، وهي: «هل» و «لعلَّ» و «لو».

ب- (هلْ): فإنها تستعمل حيث يعلم أنَّ المستفهم عنه غير حاصل؛ وأنه غير مطموع في حصوله؛ وذلك لإبراز المتمني في صورة الممكن؛ إظهارًا لشدة الرغبة فيه، ومنه قول الله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾{الأعراف: ٥٣}، أي ليت لنا شفعاء.

ت- (لو): فإنها تستعمل في التمني؛ لإبراز المتمني في صورة ما لم يوجد إشعاراً بعزته؛ وذلك لأن (لو) - في الأصل- حرف امتناع لامتناع، وعلى هذا فاستعمالها في التمني مجاز، ومنه قولك: (لو تأْتيَني فتحدِّثني) بنصب الفعل في جواب التمنِّي، وقوله تعالى: ﴿ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾{الشعراء: ١٠٢}، بنصب الفعل - أيضاً-، ومنه قول المهلهل بن ربيعة:

فلو نثر المقابر عن كليبٍ ... فيخبر بالذنائب أي زير؟

ث-(لعلَّ): فإنها تستعمل في التمني لإبراز المتمني في صورة الممكن المتوقع حصوله؛ لشدة الرغبة فيه؛ وعلى ذلك فاستعماله في التمني مجاز، قال تعالى: حكاية عن فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧ ﴾{غافر: ٣٦-٣٧}.

ففرعون يعلم أن ما يأمله بعيد الحصول، ولكن إمعانه في عتوه وضلاله ورغبته الشديدة في الوصول إلى ما يريد خيلا له أنه قريب الحصول، ولهذا أمر هامان ببناء الصرح.

وكقول الشاعر:

أَسِرْبَ القطا هلْ من يُعيرُ جَناحهُ ... لَعلّي إلى منْ قدْ هَوَيْتُ أَطيرُ؟![1]

على معنى: ليتني أطير، ولم تحمل على معناها الحقيقي الذي هو "الرجاء" لاستحالة بلوغ الأسباب في الأول، والطيران في الثاني.

المطلب الخامس: النداء، تعريفه، وأدواته

أولاً: تعريفه

وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل «أدعو».

إما لفظاً: كقوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ ... ﴾{مريم: ١٢}.

وإما تقديراً: كقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ ... ﴾{يوسف: ٢٩}، أي يا يوسف.

ثانياً: أدوات النداء

وأحرف النداء أو أدواته ثمان: الهمزة، و «أي»، و «يا»، و «أيا»، و «هيا» و «آ» و «آي» و «وا».

وهذه الأدوات في الاستعمال نوعان:

١ – الهمزة، وأيٌّ لنداء القريب.

٢ – والأدوات الستّ الأخرى لنداء البعيد.

١– (الهمزة): من أمثلة استعمال الهمزة لنداء القريب جرياً على الأصل، قولك: "أمحمد افتح النافذة التي بجوارك".

---

[1] البيتان من الطويل، وهما للمجنون في ديوانه؛ وللعباس بن الأحنف في ديوانه، وصدر البيت:

بكيتُ على سربِ القطا إذ مررنَ بي ... فقلتُ ومثلي بالبكاءِ جديرُ

أَسِربَ القطا هلْ مَنْ يعيرُ جناحه ... لعلّي إلى مَنْ قد هَويتُ أطيرُ

وأي قطاةٍ لم تعرني جناحها ... فعاشتْ بضيرٍ والجناحُ كسيرُ

وإلاّ فمن هذا يؤدِّي تحية ... فأشكرهُ إنَّ المحبَّ شكورُ

ومنه قول امرئ القيس:

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْض هذا التَّدَلُّلِ... وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمي فَأَجْمِلِي[1]

يقول لها: إن كان هذا منك تدلّلاً، فأقصري، وإن كنتِ عزمتِ على هجري وبغضي فأجملي.

٢- (أيٌّ): مثل: "أيٌّ زينب ناوليني كتابك لأقرأَ فيهِ قليلاً".

ومنه قول الشاعر:

أيٌّ صَديقي إنِّي قصدتكَ لما ... لم أَجدْ في الحياةِ غيركَ شَهماً

وكقول شاعر آخر:

أَيُّها السائِلُ عنْهُم وعَنِّي.... لَسْتُ من قَيْسٍ ولا قَيْسُ مِنِّي

٣. (يا): كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾{البقرة: ٢١}.

وكقول الشاعر:

يا ساريَ البرقِ غاد القصر واسقِ به ... من كانَ صرف الهوى والودّ يسقينا

ويا نسيمَ الصَّبا بلِّغْ تحيتنا ... من لو على البعدِ حيّاً كان يحيينا

٤. (آيْ): كقولك: «آيْ محمد أقبلْ».

٥. (أيا): كقولك: «أيا مَنْ لستُ أنساهُ». ونحو: «أيا خالد أقْبِلْ».

٦. (هيا): كقول الشاعر:

فأصاخَ يرجُو أن يكون حَياً... ويقول من طَمَع: هَيا رَبَّا

---

[1] وتمام البيت:

وإنْ تكُ قد سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيْقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي من ثيابِك تَنْسُلِ

أغرَّكِ مني أنَّ حُبَّكِ قاتلي ... وأنكِ مهما تأمري القلب يفعلِ

وما ذرفت عيناكِ إلاّ لتضربي ... بسهميكِ في أعشار قلبٍ مقتلِ

٧. (آ): نحو: آخالدُ حافظ على نفسك.

٨. (وا): كقول الشاعر:

فوا عجباً كمْ يدَّعي الفَضلَ ناقصٌ؟... ووا أسفاً كم يَظهرُ النقصَ فاضلُ؟[١]

وقد ينزل البعيد منزلة القريب، فينادى "بالهمزة وأي" تنبيها على أنه في القلب حاضر، ولا يغيب عن الحاضر كما في قول الشاعر:

أَسُكّانَ نَعْمانِ الأراكِ تَيقَّنوا ... بأَنكُمُ في ربَعِ قلبي سُكّانُ[٢]

وقد يعكس فينزل القريب منزلة البعيد، فينادى بأدوات البعيد لغرض من الأغراض منها:

١- الإشعار بأنَّ المنادى رفيع القدر، عظيم الشأن، فينزل بعد المنزلة منزلة بعد المكان كما في قولك: "يا الله"، وكقول العبد لسيده وهو في حضرته: "يا مولاي".

وكقول أبي نواس:

يا رَبِّ إن عَظُمَت ذُنوبي كَثْرَةً... فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ

إِنْ كان لا يَرْجُوْكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ... فِبمَنْ يَلُوْذُ وَيَسْتَجِيْرُ المُجْرِمُ

أَدْعُوْكَ رَبِّ كما أَمَرْتَ تَضرعاً ... فإذا رَدَدْتَ يدي فَمَنْ ذا يَرْحمُ؟

ما لي إِلَيْكَ وَسِيْلَة إِلَّا الرَّجا ... وعَظيم عَفْوك ثمَّ إِنيّ مُسْلِمُ[١]

---

[١] وصدر البيت:
ولما رأيتُ الجهلَ في الناس فاشياً ... تجاهلتُ حتى ظنَّ أنّي جاهلُ
فوا عجباً كم يدَّعي الفضلَ ناقص ... ووا أسفا كم يظهر النقص فاضلُ
وكيف تنام الطير في وكناتها ... وقد نصبت للفرقدين الحبائل
ينافس يومي في أمسي تشرفا ... وتحسد أسحاري علي الأصائل

[٢] أَسُكّان: جمع ساكن، والمقصود: النازل بالمكان، والهمزة للنداء. وقوله: (نَعْمان الأراك): وادٍ بين مكة والطائف. وقوله: (تيقَّنوا) فعل أمرٍ من التيقُّن. وقوله: (رَبع): محلة القوم ومنزلهم، أي: حوالي قلبي.
فينادي الشاعر سكان هذا الوادي، وأنهم ساكنون لقلبه ما دامت محبوبته قائمة بينهم، فمهما بعدت المسافة فهي قريبة منه في الحقيقة.

فقد استعمل أداة (يا) في نداء القريب على خلاف الأصل في نداء البعيد، إشارة إلى علو مرتبة المنادى وارتفاع شأنه وهو الله تعالى.

وكقول المتنبي:

يا صائِدَ الجَحفَلِ المَرهوبِ جانِبُهُ... إِنَّ اللِيوثَ تَصيدُ الناسَ أُحدانا

فقد استعمل أداة (يا) في نداء القريب؛ لأنَّ المتنبي نشد قصيدته في حضرة ممدوحه على خلاف الأصل في نداء البعيد إشارة إلى رفعة مرتبة المنادى وعلو شأنه.

٢- الإشارة إلى أنَّ المنادى وضيع المنزلة، منحط المكانة، فكأنه بعيد عن ساحة عز الحضور كما في قولك: "مَنْ أنتَ يا هذا"؟ لمن هو بين يديك.

وكقول الفرزدق يهجو جريراً:

أُولئك آبائي، فَجِئْني بمِثْلِهِمْ... إذا جَمَعَتْنا يا جَرِيرُ المَجامِعُ

وكقول الشاعر:

أيا هذا أَتَطْمعُ في المَعالي ... وما يحظى بها إلاّ الرجالُ؟

فالمنادى هنا قريب -؛ لأنَّ الشاعر قال بيته في حضرته - وقد نودي بـ (أيا) على خلاف الأصل في النداء البعيد، إشارة إلى أنه وضيع القدر صغير الشأن.

٣- الإشارة إلى أنَّ السامع غافل لذهول، أو نوم، أو نحو ذلك، فيعتبر كأنه غير حاضر في مجلس الخطاب كقولك للساهي: "أيا فلان"، إلى غير ذلك.

وكقول الشاعر:

يا جامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِ بَلاغِهِ... لِمَنْ تَجْمَعِ الدُّنْيَا وأَنْتَ تَموتُ

وقول أبي العتاهية:

---

(١) قيل: وجدت تحت الفراش الذي مات عليه أبو نواس رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات، فرؤي في المنام بعد موته فقيل له: ماذا فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بأبيات من الشعر قلتها فقيل له وما هي؟ فأنشد هذه الأبيات. ينظر: العقد الفريد: لابن عبد ربه: ٢٠٦/٣، والدر الفريد وبيت القصيد: محمد بن أيدمر: ٢٠٥/٩.

أيا منْ عاشَ في الدنيا طويلاً ... و أفنَى العمرَ في قيلٍ وقالِ

وأتعبَ نفسَه فيـــما سيفنَى ... يجمَعُ منْ حرامٍ أو حلالِ

هبِ الدنيا تقادُ إليكَ عفواً ... أليسَ مصيرُ ذلك للزوالِ؟

فالمنادى هنا قريب، وقد نودي بـ (يا) الموضوعة لنداء البعيد إشارة إلى أنه غافل لاهٍ فكأنه بعيد غير حاضر.

خروج النداء عن معناه الأصلي:

قد يخرج النداء عن معناه الأصلي من نداء القريب أو البعيد إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، كالإغراء، والتحسر، والاستغاثة، والندبة، والتعجب، والاختصاص.

١ – الإغراء والتحذير: وهو الحث على التزام الشيء، والتمسك به كقولك لمن أقبل يتظلم: "يا مظلوم"، فليس الغرض منه، حقيقة النداء الذي هو طلب الإقبال؛ لأنَّ الإقبال حاصل، فلا معنى لطلبه، إنما المراد: إغراء المخاطب، وحثه على زيادة التظلم، وبث الشكوى، بقرينة الحال.

وقد اجتمع الإغراء والتحذير في قوله تعالى: ﴿ ... نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴾{الشمس: ١٣}.

وقال المتنبي مخاطباً سيف الدولة:

يا أَعدلَ الناسِ إلاّ في مُعاملتي ... فيكَ الخصام وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

أُعِيذُها نَظَرَاتٍ مِنْكَ صادِقَةً... أن تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ

فالغرض من النداء هنا إغراء سيف الدولة على العدول عن إعراضه عن الشعر بسبب نميمة الحساد.

٢ – التحسُّر والتحزُّن[١]: ومن النداء الذي خرج من معناه الأصلي إلى التحسر والتحزن، قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾{يس: ٣٠}.

فقد عبّر الله تعالى عمّا يَشعر به هؤلاء المكذبين لرسل الله المنكرين لآياته ويا حسرةً عليهم، ما جاءهم رسولٌ إلا كذبوه واستهزءوا به، فيعرّضون أنفسهم بكفرهم لعذاب الله الشديد.

---

[١] الحَسرة: الغمُّ والحزن على ما فات، والندم عليه ندما لا نفع من ورائه، كأن المتحسر قد انحسرت عنه قواه وذهبت، وصار في غير استطاعته إرجاعها.

و «يا» في الآية الكريمة حرف نداء، و «حَسرة» منادى ونداؤها على المجاز بتنزيلها منزلة العقلاء.

وقول ابن الرومي:

يا شَبابي! وأين مني شبابي؟ ... آذنتني حباله بانقضاب

وكقول آخر:

أيا منزلي سلمي سلامٌ عليكما ... هل الأزمن اللاتي مَضيْنَ رواجِعُ

وفي رثاء مَعْن بن زائدة أحد أجواد العرب الشجعان الفصحاء، قال الشاعر منادياً قبرهُ، تعبيراً عن مشاعر الحزن عليه:

فَيا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْف وَارَيْتَ جُودَهُ... وقد كانَ مِنْهُ البَرُّ والبَحْرُ مُتْرَعاً

وقول عربية تتحسر على ابنها:

دَعوْتكَ يا بنيَّ فلم تُجبْني ... فردَّتْ دَعْوتي يأساً عليَّ

فليس المراد حقيقة النداء كما هو ظاهر إذ ليست هذه الأشياء مما ينادى بها ويطلب إقباله، وإنما الغرض التحسر والتفجع لفقدان الأحبة، وذهاب أيامهم، وما كانوا فيه من مجد وعزّ وحول وطول.

وكقول آخر:

أيا منازلَ سَلْمى أينَ سَلْماكِ ... من أجل هذا بَكيْناها بَكيْناك[1]

٣ – الاستغاثة: يا أولي القوة للضعفاء، ومثل: «يا ناصر الدين».

وكقول الشاعر:

يا لَلرِّجَالِ[2] ذوي الألبابِ مِنْ نَفَرٍ... لا يَبْرَحُ السَّفَهُ المُرْدي لَهُمْ دِيْنا[3]

في هذا البيت يطلب الشاعر الاستغاثة والاستنصار على مجموعة من الناس؛ لأنهم أشرار.

٤ – النُّدبة: هي نداء المتفجَّع عليه أو المتوجَّع منه بـ (وا) أو (يا).

---

[1] اللام الأولى في «للرجال» لام الاستغاثة، وهي مفتوحة.

[2] (سَلْمى): اسم امرأة في العرب، يقصد الشاعر أنه بكى على سلمى وبكى على المنازل لعدم وجود سلمى بها، فينشر الشاعر أحزانه مع الذكريات وينادي متضجراً منازلَ سلماهُ تعبيراً عن مشاعره تجاه محبوبته.

[3] المُردي: المُهلك، والدين: يقصد العادة.

وأسلوب الندبة يستعمل لأمرين:

الأول: نداء المتفجع عليه، مثل : وا محمداه، أو يا محمدا، فأنت تتفجَّع على محمد، أي تظهر الحزن عليه.

الثاني: نداء المتوجع منه، مثل : وا رأساه، فأنت تتوجَّع من رأسك، وكذلك: وا ظهراه، وا رجلاه.

وكقول المتنبي:

وا حرّ قلباهُ من قلبهِ شبم ... ومنْ بجسمي وحالي عندهُ سقم

وكقول أبي العلاء المعري:

فوا عَجَباً كمْ يدَّعي الفَضْلَ ناقصٌ؟... ووا أسفاً كمْ يَظهرُ النَّقصَ فاضلُ؟

فهنا يندب حال بعض من الناس فكأنه واقع في بلاء فكيف تتغير الموازين: فالناقص يدَّعي الفضل والفاضل يدَّعي النقص.

ونحو: وا كبدي! ويا ولداه!

وقول فاطمة (رضي الله عنها) لما ثقل النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل يَتَغَشَّاهُ، قالت: وا كَرْبَ أَبَاهُ، فقال لها: (لَيْسَ على أَبِيكِ كَرْبٌ بعد اليوم، فَلَمَّا ماتَ، قالت: يا أَبَتَاهُ، أَجابَ رَبًّا دعاهُ، يا أَبَتَاه، مَن جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مأْوَاهْ، يا أَبَتَاه إِلى جِبْرِيلَ نَنْعَاه ...){أخرجه البخاري في صحيحه}.

٥- التعجب: كقولك: «يا عجبا لم فعلت؟»، ونحو: يا لجمال الربيع! الغرض هنا هو التعجب من جمال الربيع. وكقولك لشخص: «يا لك من رجلٍ كريم»، فأنت لا تريد أن تناديه وإنَّما تريد التعجب من حاله ومن كرمه.

٦- الاختصاص: نحو: بعلمكم أيها الشباب يعتزُّ الوطنُ وينهضُ. ومثل: «اغفر اللهم لنا أيتّها العصابة»، أي: مخصصاً به دون الرجال، واغفر لنا مخصوصين من بين العصائب.

المبحث الثالث

الإنشاء غير الطلبي وأقسامه

ذكرنا فيما سبق أنَّ الإنشاء ينقسم إلى قسمين:

أ- طلبي: وهو ما يستدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب. وأنواعُه خمسةٌ، هي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمنيِّ، والنداء.

ب- غير طلبي: هو: ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب. ويكون: بصيغ المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب والرجاء، وكذا يكون بربَّ ولعلَّ، وكم الخبرية.

وسنبين في هذا المبحث أقسام الإنشاء غير الطلبي، وذلك في خمسة مطالب:

المطلب الأول: صيغ المدح والذم

أولاً: المدح وصيغه

المدح: أسلوب إنشائيّ غير طلبيّ، يعبّر به المتكلّم عن موقف الاستحسان وذلك بواسطة فعلي المدح الجامدين اللّازمين «نِعْمَ» و «حَبَّذا».

مثال المدح بفعل: «نِعْم»، قوله تعالى في النبيّ سليمان (عليه السلام): ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾{ص: ٣٠}، وقوله تعالى في النبيّ أيوب (عليه السلام): ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾{ص: ٤٤}.

وقال زهير بن ابي سُلمى في مدح هرم بن سنان:

نَعْمَ امْرَأ هَرِمٌ لم تَعْرُ نائِبَةٌ... إلاّ وكان لِمُرْتَاعٍ بِها وَزَرَا

يمدح الشاعر هرمًا بقوله: إنه نعم الرجل، وليس لمن يصاب بنائبة من ملجأ إلاّ هو، فإنه يدفع المصيبة عنه بجليل إحسانه.

ومثل قولك: (نِعمَ الخُلقُ الصِّدقُ).

ومثال «حَبَّذا» قول جرير:

يا حبَّذا جبلُ الريانِ منْ جبلٍ... وَحَبّذا ساكِنُ الرّيّانِ مَنْ كانا

وحبَّذا نفحات من يمانية ... تأتيك من قبل الرَّيان أحيانا

يستحضر الشاعر ذكرياته مع جبل الرَّيان، ومع من يسكنون هذا الجبل.

ومثل قولك: (حبَّذا الصِّدقُ)، و (أَحتَرِمُ الطُّلابَ حَبَّذا المُتَفوِّقُ).

ثانياً: الذَّم وصيغه

الذَّمُّ: أسلوب إنشائيّ غير طلبيّ، يعبّر به المتكلّم عن موقف الاستهجان وذلك بواسطة فعلي الذَّمُّ الجامدين اللّازمين «بِئْسَ» و «لا حَبَّذا»، أو أفعال أخرى تؤدّي هذا المعنى مثل «ساءَ».

كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾{الحجرات: ١١}، وقوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾{المجادلة: ١٥}.

وكقول الشاعر:

أَلا حَبَّذَا عاذِري في الهَوى... ولا حَبَّذَا العاذِلُ الجاهِلُ

المعنى: نعم من يعذرني في الهوى، ويكف عن لومي وعذلي، وبئس الجاهل الغبي الذي يلومني، ولا يلتمس لي عذراً، فجمع بين المدح والذَّم.

ونحو: بِئْسَ العوضُ من التوبة الإصرار، وبِئْسَ الخلق الكذبُ، ولا حبَّذا الكذبُ، ولا حَبَّذا الجَهلُ.

المطلب الثاني: التعجب وصيغه

التعجب: وهو يدلُ على الاستغراب والدهشة.

والتعجب يأتي قياسياً بصيغتين: «ما أفعلهُ» و «أفعلْ بهِ».

١. صيغة «ما أفعلهُ»: كقولك: ما أَجْملَ هذا الثَّوبَ! وما أَحسنَ السَّماءَ!، وما أحسنَ الرجلَ!».

تقديره: شيء جعل الرجل حسناً.

وكقول شقران الهزيمي:

أُولئكَ قَوْمِي بارَكَ اللهُ فيهِمُ... على كُلِّ حال ما أَعَفَّ وأَكْرَما!

تقديره: شيء جعل قومي عفيفاً وكريماً.

وكقول أبي دلامة:

ما أَحْسنَ الدِّين والدُّنيا إذا اجتمعا ... وأَقبَحَ الكفرَ والإفْلاسَ بالرَّجل!

تقديره: شيء جعل الدين والدنيا إذا اجتمعا حسناً وجميلاً.

٢- «أفعلْ بهِ»: كقوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾{مريم: ٣٨}.

يعني: مَا أسمعهم وأبصرهم يوم الْقيامة، وإِنَّما وَصفهم بهذا؛ لأنه تعالى كان وصفهم بالبكم والعمي والصمم في الدّنيا، فأَخْبر أَنهم يسمعُون ويبصرون في الآخرة، ما لم يسمعوا ويبصروا في الدُّنْيا.

وقال كعب بن زهير:

أكْرِمْ بها خُلَّةً لوْ أنَّها صَدَقَتْ... مَوْعودَها أَو لو أَنَّ النُّصْحَ مَقْبولُ

أيْ: ما أكرَمَها لوْ وفَتْ بموعودِها، أوْ قَبِلَت النصحَ.

ونحو: أَجمل بالسماءِ. ونحو: «أكرمْ بالصِّدِّيقِ». فمعناه: أكرم صديق؛ أي: صار ذا حسن.

ونحو: «أحسِنْ بخالدٍ».

فمعناه، أحسَن خالد؛ أي: صار ذا حُسن.

وقد يأتي التعجب بصيغٍ سماعية كثيرة منها:

للتعجب السماعي في العربية ألفاظ كثيرة لا يتعرض لها النحويون في باب التعجب غالباً، مثل قولهم: للهِ درُّه فارساً.

و«الدَّرُّ»: اللبن الكثير، وحين تقول: (للهِ درُّهُ فارساً)، فكأنَّ هذا الفارس رضعَ لبناً غير عاديٍّ، أعده الله له، والمعنى أتعجَّبُ من هذا الفارس.

ومنه الاستفهام الخارج إلى التعجب، قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾{البقرة: ٢٨}.

قال الزجاج: " وَتأويلُ كيف أنها، استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب إنما هو للخلق وللمؤمنين، أي اعجبوا من هؤلاء كيف يَكفُرون وقد ثبتَتْ حجة الله عليهم"[1].

وكقوله تعالى: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾{الواقعة: ٤١}، أنه بمعنى التعجُّب من حالهم والمعنى: ما لهم، وما أعدّ لهم من الشّرّ؟!

المطلب الثالث: القسم وحروفه

القسم: «بالواو والتاء والباء»، تجرُّ ما بعدها كما يكون بالفعل «أقسم» أو ما في معناه من مثل «أحلف».

الأول: الواو، وهي لا تَدْخُلُ إلا على الاسم الظاهر، نحو "والله"، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ ﴾{الطور: ١-٢}، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ﴾{التين: ١-٢}.

والثاني: التاء، ولا تدخل إلاّ علي لفظ الجلالة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾{الأنبياء: ٥٧}. ولا يجوز ذكر فعل القسم مع "الواو، والتاء"، فلا يقالُ: أُقسمُ والله، ولا أُقسمُ تاللهِ.

وقد سمع جرُّها ربَّ مضافاً إلى الكعبة قالوا: تربِّ الكعبة.

والثالث: الباء، ولا تختص بلفظ دون لفظ، بل تدخل علي الاسم الظاهر، نحو "بالله لأَجْتَهِدَنَّ" وعلي الضمير، نحو "بكَ لأضْرِبَنَّ الكَسولَ".

وأسلوب القسم يتكون من:

أ- حروف القسم، وهي: (الواو، والباء، والتاء).

ب- مُقْسم به: وهو كل عظيمٍ يقسم به كاسم الجلالة (الله).

ت- مُقْسم عليه: وهو جواب القسم، مثل: واللهِ إنَّ الطالبَ محترمٌ.

ومن صيغ القسم التي ترد كثيراً في الأساليب العربية «لعمرُ» مضافة إلى اسم ظاهر أو ضمير مثل «لعمرُ الله» و «لعمرك» والتقدير: لعمر الله، ولعمرك قسمي أو يميني أو ما أحلف به، وذلك نحو قول معن بن أوس:

---

[1] معاني القرآن وإعرابه: ١٠٧/١.

لَعمركَ ما أدري وإنّي لأوْجلُ ... على أيِّنا تعدو المنية أول

المطلب الرابع: الرجاء وحروفه

الرجاء: وهو أسلوبٌ يدلُّ على احتمالية حدوث الأمر؛ لكونه غير مستحيل وليس ببعيد المنال، ويُستخدم معه حرف واحد هو «لعلَّ»، وبثلاثة أفعال هي: «عَسى، وحرى، واخْلولقَ».

و «لعلَّ» التي تعدُّ من صيغ الإنشاء غير الطلبي هي التي تفيد الرجاء، نحو قول ذي الرمّة:

لعلَّ انحدار الدَّمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي شجيّ البلابل[1]

وكقول آخر:

فقُلتْ ادعُ أخرى وارفع الصوتَ ثانيًا ... لعلَّ أبي المغوار منكَ قريبُ[2]

وكقول آخر:

لعلَّ اللهَ فضَّلكم علينا ... بشيءٍ أن أمكم شريم[3]

أما «لعلَّ» التي تكون بمعنى «كي» نحو قوله تعالى: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*، ولَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ*، ولَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أي كي تتقوا، وكي تتذكروا، وكي يتذكر، وكذلك «لعل» التي بمعنى «ظنَّ» نحو قول امرئ القيس:

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحةٍ ... لعلَّ منايانا تحولنَّ أبؤسا

فإنَّ «لعلَّ» في هاتين الحالتين لا تفيد الرجاء، وبالتالي لا تعدُّ من صيغ الإنشاء غير الطلبي.

ومن أمثلة أفعال الرجاء قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴾{النساء: ٩٩}، وقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾{التوبة: ١٠٢}.

وكقول الشاعر:

---

[1] الشجي: الحزين، والبلابل: جمع بلبال وهو الهمُّ ووسواس الصدر. والمراد بشجي البلابل المحزون الذي امتلأ صدره حزناً وهمّاً.

[2] على أنَّ (لعلَّ) في هذا البيت حرف جر، فالجر بها على لغة عقيل.

[3] (لعلَّ الله ...) بالنصب في لغة سائر العرب، فإنَّ الجرَّ بلغة عقيل. ينظر: معاني النحو: د. فاضل السامرائي:٢٩/١.

عسى فرج يأتي به الله إنه ... له كلّ يوم في خليقته أمر

ونحو «اخلوقتِ السَّماءُ أن تمطر» بمعنى «عَسى».

المطلب الخامس: العقود وصيغه

صيغ العقود بالماضي كثيراً: من نحو قولك: (بِعْتُ) لإنشاء البيع، (واشتريتُ) لإنشاء الشراء، (ونَكحْتُ) لإنشاء التزويج، وبغير الماضي قليلاً، نحو: أنا بائعٌ، وعبدي حرٌّ لوجهِ الله، ومثل: العقودُ فسوخٌ.

والإنشاء غير الطلبي ليس من مباحث علم المعاني؛ وذلك لقلة الأغراض البلاغية التي تتعلق به من ناحية؛ ولأنَّ أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء من ناحية أخرى.

أما الإنشاء الذي هو موضع اهتمام البلاغيين، لاختصاصه بكثير من الدلالات البلاغية فهو «الإنشاء الطلبيّ» والذي ذكرنا دراسته بشيء من التفصيل.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:

١. أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني: أحمد مطلوب أحمد الناصري الرفاعي، وكالة المطبوعات – الكويت –، ط١، ١٩٨٠م.

٢. أفنان الصياغة في حل ألفاظ دروس البلاغة: د. أيمن أمين عبد الغني، دار ابن حزم – بيروت –، ط١، ٢٠٢٠م.

٣. الإيضاح في علوم البلاغة: لأبي المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر، القزويني الشافعي (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت –، ط٣، بدون تاريخ.

٤. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي (ت١٣٩١هـ)، مكتبة الآداب، ط١٧، ٢٠٠٥م.

٥. البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجي (ت١٤٢٩هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة –، ط٢٠٠٦م.

٦. البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة الميداني (ت١٤٢٥هـ)، دار القلم – دمشق –، ط١، ١٩٩٦م.

٧. البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات: د. بن عيسى بطاهر، دار الكتب الجديدة المتحدة – بيروت –، ط٢، ٢٠١٦م.

٨. البلاغة الواضحة: علي الجارم، ومصطفى أمين، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٩. البلاغة والتطبيق: د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – العراق –، ط٢، ١٩٩٩م.

١٠. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٣٦٢هـ)، المكتبة العصرية – بيروت –، بدون طبعة وبدون تاريخ.

١١. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، والحاشية: لمحمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية – بيروت –، بدون طبعة وبدون تاريخ.

١٢. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧، بدون تاريخ.

١٣. دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي – بيروت –، ط١، ١٩٩٥م.

١٤. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي (ت٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت –، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٥. علم المعاني: عبد العزيز عتيق (ت١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية – لبنان –، ط١، ٢٠٠٩م.

١٦. علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»: أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، بدون طبعة وبدون تاريخ.

١٧. اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي: لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠٨م.

١٨. معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت –، ط١، ١٩٨٨م.

١٩. مفتاح العلوم: لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت –، ط٢، ١٩٨٧م.

٢٠. المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة –، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢١. النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق: حسن بن إسماعيل الجناجي، دار الطباعة المحمدية – القاهرة – ، ط١، ١٩٨٣م.